# المقدم أول مصطفى بهجت بدوى

## شاعر

الوجدان والخيال بحق !

ستقول إنك لم تسمع به او بأشعاره وأنا محق وأنت محق ولكن الذى أنا منه على ثقه . هو انك ستسمع به قريبا وسيطربك ويشجيك إنشاده وخياله وعاطفته . ستعرفه حين يصدر ديوانه الأول بعد أن طال احتجابه ولا تسألنى كيف حصلت على شعره فهذا من توفيق الله لأن شاعرنا هذا ضنين بإطلاع الناس على شعره - وفى هذا المعنى يقول :

سبع طويت بها الأشعار عن صحف ... وقيدتها وأضنتها التقاليد !

كانت لنفسى فما أشهدتها أحداً ... ظلماً لنفسى .! و بعض الظلم تقييد!

وإن تغنيت بالغيد التى سحرت ... فما تغنى بشعرى فى الورى غيد !

سبع كأن قصيدى بينها ملك ... خاف عن الناس وهو الحسن والجود

وهكذا ظل هذا الشاعر يكتب الشعر سبع سنين دون أن ينشره. فما أعلم أن شعره كتب فى صحيفة ما أو جوهر به فى اجتماع ما . .

وما أعلم أن أحداً من الناس يتحكم قلبه فى كيانه ويسيطر شعره على حيانه كمثل هذا الموهوب الصغير السن الذى يبرهن على أن صغر السن لم يكن ليحول بين المرء والإجادة ولعل القارىء الفاضل سيقتنع معى إذا ما انتهى من تلاوة كلمتى هذه عن مصطفى أن هذا الشاب جدير بكل كلمة أسطرها له وأن وحى الشعر لا ينتظر سناً خاصة لينفث سحره فيمن يقع عليه اختياره .وإذا كان مصطفى لم يعرف حتى الآن فذلك لأنه حيى بطبعه، يؤثر الهدوء والعزلة ، فضلا عن أنه مازال فى فجر حياته .

كتب الشعر أول ما كتب فى المدرسة العباسية الثانوية بالاسكندرية وغلب الطابع الدينى على أشعاره ، ولاعجب فقد كان يرأس الجمعية التهذيبية بالمدرسة . وبدأ القصيد يلين له حقاً عندما أحب . . أحب بصورة عنيفة جارفة تلمس فيها أحاسيس الشباب وتستشف منها روحه الدينية التى ما برحت تغالبه فكان يقرأ لنفسه وحدها كما سبق أن أبان فى شعره . . يقرأ غزلا رقيقاً مطواعاً . وفتح له الغزل أبواب الشعر كلها فدانت له القوافى وبات يحنو عليها كما يحنو الأب على ابنائه وصارت أسعد لحظاته تلك التى يردد فيها قصائده على نفسه فيبكى لواحدة ويبسم لأخرى ! والتحق بالكلية الحربية فما شغلته عن قرض الشعر حتى إذا ما تخرج منها وعمل هناك فى صحراء سيناء شرق القنال . . وجد فرصته الذهبية . . فالبيئه صحراء جميلة هادئة ينشىء بها الشعر إنشاء . وعكف على الاطلاع والقراءة فى دواوين الشعر وغيرها

طيلة ثلاث سنين وهكذا أفادته الصحراء كما أفادت غيره من الشعراء القدامى. وفي هذا يقول:

تبدت خيامي تهتف البيد باسمها ... وما بعد شكر البيد أشعارها شكر
مشردة غنـــاء بورك ظلهـــا ... قوائمها الإلهام والخب والفقر

. . . . . .

ألفت حياتي شارداً تحت مضرب ... تحف بي الأشعار والكتب والذكر
أنا عاشق البيداء آمنت أنها ... أنيسة روحي .. ضمنا العسر واليسر
وأجتال في الأوهاد أقبس فكرة ... مباركة يعتز من فمها الفكر
كذلك غنى في هوى البيد قبلنا ... جبابرة في الشعر خلدهم دهر
خيامي ! قد أكرمت في البيد عزلتي ... وقد حق من إكرامك الحمد والفخر
فمنك أقود الجند والثغر عابس ... ومنك أقول الشعر والثغر مفتر

* * *

وكانت أكبر صدماته التي حركت أشجانه وآلامه فألهمته من الأشعار ما ألهمت هو ما يحلو له أن يسميه « حب عام ١٩٤٤ » .. هذا الألم الذي سما بمشاعره وأرهف أحاسيسه والذي هو في الحقيقة الدعامة الكبرى لديوانه « وجدان حائر »

وأما وقد عدنا إلى ذكر الديوان فأحسب أنه من الأنسب أن أنقل ألواناً من شعره واستعرض هـــذا الكتاب فهو روح الشاعر الصادقة . وإنما أقصد من هذه التراجم أن أتعمق إلى نفسية كل شاعر وروحه وإني لواجد ما أبغي في شعر مصطفى نفسه ..

اقرأ معى هذه الاغاريد التى تعتز بها فاتحة ديوانه حيث ذوب روحه ولاء لجلالة المليك المعظم

قلوب الشعب يهديها نداكا وماء النيـــل يجريه نداكا
ورب العدل للعدل اصطفاكا مليكاً يبلغ الملك السماكا

* * *

فأى ضحى بزغت وليس خيراً ؟ وأى ثرى طرقت وليس تبراً ؟
تطوف لتنشر النعمى بمصرا ومن للخير والنعمى سواكا ؟!

* * *

دعائم عرشك الميمون مجد وماض قد بناه أب وجد
وجيش أنت مولاه الأشد وواد شعبه الغـــالى فداكا

* * *

حبـــاك الله يا فاروق عزا ونصراً أينما تمضى وفوزا
فكل مكارم ليديك تعزى ولم تمنن ! ألا سلمت يداكا

* * *

رياض الشعر كم نفحتك مدحا وسحرك هزها دوحاً فدوحا
وأنت ربيعها .. عطراً وسمحا فلا عجب إذا لزمت حماكا ..

* * *

وما أظن أن أبياتاً تجمع بين اشراق الديباجة والفخامة والجزالة وعمق

الاحساس . . كما تجمع الأبيات التالية التي يرتلها مصطفى .. جندى المليك :

| | |
|---|---|
| الله يرعاك يامن أنت راعينا | يادوحة النيل يا أزكى أمانينا |
| يا من طربت بمدحى نور جبهته | وطفت بالحسنات الكثر مفتونا |
| يانفحة الله يا فاروق يامليكا | على القلوب .. هواه العذب يحيينا |
| رويت بالشعر لما قلت مدحته | لوناً من الحب مسحوراً وموزوناً |
| وبت أنشد من آياته مثلا | يسرى بها الناس فى الأقطار هادينا |
| . . . . . | . . . . . |

ويغلب على طبيعة هذا الشاعر التجديد .. التجديد فى المعانى ، وخلقها خلقاً .. بل إنه إذا ما تواردت خواطره مع أحد الشعراء القدماء وتنبه هو إلى ذلك وجدته يسرع إلى إزالة هذا البيت الذى تشابه والشعر القديم حتى لايتهمه أحد بالسطو على التراث الماضى ! والشىء الثانى الذى يغلب على طبيعة مصطفى هو الفخر بالشعر أو إذا شئت فقل الغرور ، وهذه صفة لايخلو منها شاعر .. استمع إلى هذا الضابط الشاعر فى قصيدته « الشعر حياتى وصفاتى » .

| | |
|---|---|
| عاد عهد المعجزات | والهبات الساحرات ! |
| هاهنا يحيا ويهدى | سحره إن قلت : هات ! |
| خذ قصيداً قد أتانى | لست أدرى كيف يأتى ! |
| نغم والعود روحى | حلم من ذكرياتى |
| كلم والكتب فكرى | حكم كالبينات |
| إنها صفحات عمرى | فاعتبر من صفحاتى |
| وتلاقى فى جناها | صبواتى وعظاتى |

وجهـــادى وملالى والبـــــكا والبسمات
عاهد الوحى براعى بقـــدير النفثـــات
وشـدا وجدانى الحـائر بـــين الخلجـــــات
ومن الوحى خيـــالى الفـــــريدالنزوات
وجمال أذهل الدنيـــا فعـــاذت باللغـات
لم يجبها غير شعرى وهـو بالابداع آت!
وندا مصر فأهدى نيلها غض حيـــاتى
واكتهال فى شبـــابى وســـناً من فلسفاتى
كـل هذى ملهماتى يا لهـا من ملهمات !!

* * *

وإنه ليحمل بين جوانحه حباً وبراً بوالده لاتسعه الكلمات ولو كانت فى رقة وعذوبة هذه الكلمات ..

صفا الذهن حتى أبدع الشعر كاتبه وفاض عليه العلم فافتن صاحبه
يثير سليل الشعر لألاء فكره وعاطفة كالزهر ظلت تغالبه
قطعت من العمر الذى راح أربعاً حشدت بهاشعراً أجيدت تجاربه
كأن سنينى فى القصيد مواكب طلائع عرس تفتديه مواكبه
هنا العرس فى هذى القصيدة ماثل زعيمة شعرى..فخرها من تخاطبه
تخاطب أغلى من حملت له هوى أباً جل عندى شأنه ومراتبه
أتى الكون عن مجد تليد وطارف ويكفيه مجد ساطع هو جالبه
حبانى بالآلاء من يوم مولدى فحار بى الشكران ..كيف أجاوبه؟

أب عاطفى مارأيت شبيهه ... وفى حكمة الإرشاد من ذا يقاربه
وينبع من أخلاقه خلق مؤمن ... يزيد اصطباراً إذ تزيد نوائبه
يرى إمرة المقدور فى الخلق سنة ... ومن ير هذا تستخب عواقبه
وحادثة لو أن أثقال جرحها ... على غيره كانت لعجل ناديه
يصارع فى الستين آلام رجله ... فلا البتر مضنيه ولا الضغط غالبه
تنازعه داءان : داء بجسمه ... وداء طواف اليأس سوداً غياهبه
ويرقد والعواد حول سريره ... يذوبون حزناً وهو بالصبر ضاربه
عهود ولى لا مراء مقرب ... وكيف سوى هذا تتم عجائبه
حماه إلهى جل ربى حامياً ... وكان لطيفاً حين ظل يراقبه
فهلا ذكرت الطب إذ هو هالنى ... يقول : تجلد ! فالجراح تحاربه
وأول رؤياى له بعد جرحه ... رأيت هزيلا باديات ترائبه !
يقول تعالى يابنى وقص لى ... جديدك بين الجيش كيف مصاعبه؟
تبارك ربى تلك أول مرة ... مريض يواسى سالماً ويداعبه !
كذلك أمر الحر عند ابتلائه ... تهون فتطوى عن حماه مصائبه

. . . . . .

وإن له لقصائد كثيرة عن الشاطىء بمدينة الاسكندرية التى ولد بها وعشقها إذ رضع هواها . فها هو ذا يثور ثورة مضرية على العرى فى الشواطىء ..

ضقت بالثغر وهو ثغرى وداري ... منك يا عرى بين شط البحار !
لا تقولوا رياضة أبدعتهـــا ... أيها النـــاس جدة الأفكار

سخر العقل من رياضة قوم ... جمعتهم كجمع زيت ونار ..

* * * * * * * * * * * *

إيه يابحر هل كرهت قصيدى ... أم لمست الحنان من أشعارى
مل فؤادى فما تبدل حبى ... لك لكن تبدلت أفكارى
فأرى — ويح ماأراه — نساء ... فيك ما كن قبل مهبط ثارى
يا إلهى هلا نسجت رداء ... من شواظ لجسمهن العارى ؟!

وله فى لهو البحر معان لطيفة تعتبر جديدة على الشعر العربى لأنها تصوير لمرح الشباب كقوله مخاطباً البحر :

والموج يدفعنى فآذن لاهياً ... وإذا أبيت أخوض فيه معاركا !
وأظل أسبح والجزيرة قبلتى ... فإذا تعبت تخذت فيك أرائكا !

وقد قلت إنه أحب بلدة الاسكندرية ، إذن فلم تكن لتمر مناسبة كمناسبة الغارات الأليمة التى عانتها هذا الشعر دون أن يعبر الشاعر عن أوجاعه فيقول :

كلما جئت فى جوانب ثغرى ... هدنى الحزن هد تلك الجهات
وتساءلت أين راح الذى كان ... ـ وعهدى به عظيم الثبات ؟
أين أين الديار . ؟ أين بنوها ؟ ... قد تولوا ضحية الغارات
كيف لا تغرق الزمان دموعى ... كيف لا تحرق الورى زفراتى ؟
إذ رأيت الدماء تنزف كالسيل ... ـ وخلق الوجوه خافى السمات
ورأيت اللقاء بين الضحايا ... بعناق محشرج القبلات

ورأيت الشجى ينعى إلى الناس ـ فينعى بلوعة فى الغـــداة

. . . . . .

تلك غارات ظـــالم مستبد هكذا الكفر يرسل الطائرات
إنما الشرق وهو روح برىء ليس يخشى معـارك العاديات
دورة الدهر غيرت من عهود كان فيها زعيم كل الجهات
وغداً يقبل الزمان عليه إن نصر الإله للشرق آت

* * *

واستمع إلى الموسيقى الطلية التى تنبعث من شعره إذ يشبب ويتغزل .

ثغـــرها يفضل إشراق الشموس ذقت يمنـه
عطرها أطيب من عطر « بريس » عطر جنه !
شعـــرها فى وجهى المغرى أنيس صب حسنه
يا عنـاقى زد ! وقرب لى العروس فهى فتنـه
وأدمهـــا تدفىء العمر النفيس فهى منـــه
وانطلق يأيهـــا الشوق الحبيس مثل جنـــه

. . . . . .

وأنا هنا إنما أقتطف بعض مقتطفات من ديوانه وبودى لو نقلته قصيدة قصيدة ولكن المجال لايسمح فضلا عن أن حقوق طبع الديوان كله لمصطفى بدوى صاحب الديوان لا لغيره !

ولا تحسب أن مصطفى قد سعد فى حبه بل إن شقاءه فى الهوى غالب على حياته فهو يبر بالهوى ويفى له والهوى لا يبر به أو يفى له .. فلا تعجب إن عاتب قلبه فقال

بعدما أقسمت أن أنسى الغرام ... بعدما استغفر قلبي واستقام
بعدها ألفيت نفسي عاشقاً ... هكذا بعد المواثيق العظام ..
أيها القلب الذي أتعبني ... في شعاب الحب .. والحب سقام
لم لم تخلق عتياً جامداً ... لم لا يحلو لديك الإنتقام ؟ !

هذا الشاب شاعر ثائر .. ثائر على كل شيء .. رأيناه ثائراً على مدينة الشواطىء وعريها ، ومن العجيب أنه ثائر حتى على نفسه يعاتبها ويقرعها تقريعاً حتى في المناسبات التي يحتفي بنو الانسان بها الا وهي أعياد الميلاد .. ففي كل عيد ميلاد له تراه يحيي نفسه بقصيدة كلها عتاب وثورة .. وهاك بعض هذي التحيات عند ما بلغ سن الحادية والعشرين .

بلغت الرشد يا عمري ... وأين الرشد .. خبرني ؟
علام رحت يا مفتون ... تجري ضاحك السن ؟ !
أفي جنبيك غير النحس ... والشهوات والحزن ؟
حياتي ملك اضداد ... وعمري شارد مضن
نذرت العمر لله ... ولم أنذره للكون
ولما زادني عاماً ... طويت النذر في جبن
وما بالنذر إسراف ... ولكن آه لي مني !
بلغت الرشد ؟ بل ودعت ... ذاك الرشد يا سني !
. . . . . .

وإليك استفتاءه الآخر بأحد أعياد ميلاده ..

لم يتح لى الزمان شكران عيدى ... فهو رمز إلى غير سعيد
سنة الشعر أن يشير شجونى ... يوم إحياء مولدى المكدود
أيهذا الوجود .. أين وجودى ... فيك أم أننى عديم الوجود ؟ !
أنا ألعوبة يسخرها الدهر ... ويلهو بحظها المنكود
أيها العيد ماعهدتك يوماً ... باسم الثغر .. عدا فما أنت عيدى !

* * *

وغير هذه الثورات كثير . بيد أن أشد ثوراته عنفا عندما يثور فى الحب أو يشكو منه . . فهو الذى يقول :

تاريخنا فى دمى نار مؤججة ... هو ابن عام شديد الغم آذانا
كأن أيامه من طول ما اختلفت ... آوى لها الدهر من أيام عدنانا
كأنما السحر نادانا وفرقنا ... والسحر يجمع فى الضدين أحيانا
فى شاطىء الرمل لم أبصر بعارية ... إلا سخرت ولم أرفع لها شانا
يا ليت عاطفتى ظلت كما بدأت ... تغضى عن العرى مهما كان فتانا
لكنها أومأت للحسن باسمة ... وجاوب الحسن بساما وجذلانا
فجئت أنشد شعرى قرب خيمتها ... فوحد الشعر - فيما ظن - دنيانا !
وكنت أنعتها بالطهر عارية ... ولا أخاف عليها الإنس والجانا !
كانت كذبذبة فى عقل ذى خبل ... اليوم تظهر لى غير الذى كانا !
يا للزمان رمى قلبى بداهية ... رانت عليه كمثل الكفر إذ رانا !
أنثى منافقة . . دنيا منافقة ... شاهت حياتهما ضلا وقد هانا !

وإليك لونا من آلامه فى الحب فى قصيدته « الخطاب الجريح »

أودعت روحى فى خطابى لها ... حتى غدت كالنور بين الكلم
حييتها فى أسطر كالندى ... والقلب مثل اللفظ أبدى الكرم
إنى وإن عاتبتها مسرف ... فى الحب إسرافاً وعتبى لم
حييتها بالحب فى المبتدا ... حييتها بالحب فى المختتم
يوم . . . وأيام مضت إثره ... ما جاوبت أو أمسكت بالقلم
لهفى على روحى . . أأودعتها ... من لم تزدها غير لفح الألم ؟
ضيعت أيامى وأيامها ... فى قصة شوهاء لم تبتسم

ويطول بنا استعراض أشعاره فى الغزل وفروعه فإنها تطول حتى لتكاد تشغل الديوان كله ولكن لا تحسب أن هذا الفتى قد شغله الغزل عن الحكمة فإنك واجدها من بين سطور أشعاره بل إن له قصائد كاملة غاية فى الحكمة وقد تقدم بنا قوله فى وحيه

واكتهال فى شبابى ... وسنأ من فلسفاتى

إذن فتعال معى نغص مرة أخرى فى أبيات شعره لنستخرج منها ما تريد من حكمة هذا المكتهل . . إنه يقول .

ومكتبة عندى حوت كل طارف ... وكل تليد ينسخ السفر ذا السفرا
ورب كتاب قد شريت برغبة ... وتشغلنى الأحداث عنه فلا يقرا
يثقفنى الإلهام والدهر والهدى ... بأكثر مما ثقفت كتبى الفكرا

ويقول فى قصيدة أخرى عن « الدهر المظلوم »

الدهر لم يظلم الإنسان بل رفضت ... عدلا قلوب الورى من أول القدم
ماذنب دهر رأى من عهد مولده ... قابيل يطلى له تاريخه بدم
والناس تحوى من الاضداد فاسدها ... ضيمت على ظلمها والظلم لم يضم

وإليك هذه الحكم الصريحة عن صراع الشر والخير فى النفس

شهـوة مـلء ثرايا هى دائى ودوايـا
قـد جنـاها أبوايا فجرت بين دمايـا
يا شياطين الدنايا حطمـينى كسوايا
شهـوتى فيهـا رضـايا أبعدت عـنى أسـايا
هل ذوت كل البقـايا من صلاحى وهدايا ؟
ضيعـا ؟ لا ! بل حشـايا ها هما بين حشـايا !

وقد كانت الفترة التى خدم بها فى سيناء أو الشط شرق القناة أغزر فتراته إنتاجاً كما سبق أن بينت وكانت لا تكاد تمر عليه أية بادرة إثارة للشعر حتى يكتب ويكتب . اسمعه وقد ضل فى الصحراء العاصفة الرهيبة ليلا وكاد يوقن بالهلاك .. اسمعه يخاطب الليل والصحراء فى عبارات رقيقة لا يتفق عمقها وبراعتها مع حداثة سن هذا الفتى الشاعر . .

إيه ياليل الصحارى ما دهاك ؟ ياسمير الحب خفف من أذاك
فالرياح الهوج تعوى فى دجاك والرمال الصفر تسرى فى هواك
وأنا الضليل فامنحنى هداك
ما تريد الآن منى بين بيد ؟ ظلمة اليـأس لحيران شريد
أم ترى أيام عاد ستعود ؟ إقض ما تقضى فيوم الموت عيد ؟
بل ترفق بى فما أحلى الوجود
فى الوجود الحر غلاب أليم وحزين النفس بالدنيا يهيم

من يعش فى البؤس يأمل فى النعيم  وأخ النعمة يدعو أن تدوم
فغرام الناس بالدنيا عميم

* * *

إيه ياليل متى آتى الخيام  أين بالله سناها يا ظلام ؟
يا غضوب الريح ما سر الخصام  رحمة بالخلق واجنح للسلام
وأجب ياليل لى هذا المرام

* * *

بحياة البدر يا ليل استجب  بنجوم كالدرارى وشهب
بجلال عشت فيه ورهب  بالذى شاهدت من طهر وحب
سوف أطريك بأحلى ما كتب

* * *

ويك يا ليل ! كأنى ما رجوت  أنت قد زدت غروراً وقسوت
وأجبت السأل فى أنكر صوت  وحجبت الطرق عنى وافتريت
وتوعدت ضعيفاً فوفيت

* * *

ما أرى؟ هل ذى خيامى يا ترى؟  أم خيام الغير أم ماذا أرى
بشر الجسم بها حتى جرى  فإذا الرمل مثار فى الثرى
صور الوهم به ما صورا !

* * *

سنة الكون أبت منع الرياح  ملك الريح سليمان وراح !

كل شيء بالمقادير يتاح  لا لأن العبد بالدعوات صاح
فلأضل الليل .. والصبح أراح

* * *

سرت كالساخر من ذاك البلاء  أدع الزلفى وأدعو الكبرياء
نحن فى الدنيا عبيد وإماء  يرسل الله علينا ما يشاء
وله الحمد على كل قضاء

* * *

ولعل خير ما أختتم به هذا العرض لشاعرنا الحديث هو أن أنقل كلمة عنه كتبها معالى عبد الحميد بدوى باشا فى المقدمة التى صدر بها مصطفى ديوانه «وجدان حائر» إذ قال بدوى باشا «إنك تحس أنه جمع خوالج نفسه ولمحات خياله فى طاقة من الزهر يتنفس فيها صبح الشباب نضراً نديا ويتأرج منها صفاء النفس وصدق الحس».